تفسير ابن كثير

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى ا D عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري و تعالى الحمد والمنة وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول ا صلى ا عليه وسلّم على صدقات بني المصطلق وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين Bها قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي Bه يقول : قدمت على رسول ا فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول ا أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلي يا رسول ا رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة .

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول ا صلى ا عليه وسلّم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول لم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من ا تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول ا صلى ا عليه وسلّم الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول ا صلى ا عليه وسلّم وبعث رسول ا صلى ا عليه وسلّم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف فرجع حتى أتى رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال يا رسول ا إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول ا صلى ا عليه وسلّم وبعث البعث إلى الحارث Bه وأتى الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك قال : ولم ؟ قالوا : إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله قال Bه : لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني .

فلما دخل الحارث على رسول ا قال : [منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟] قال : لا والذي

بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول ا صلى ا عليه وسلّم خشيت أن يكون كانت سخطة ا تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ } إلى قوله { حكيم } ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة Bها قالت : بعث رسول ا صلى ا عليه وسلّم رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول ا قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول ا صلى ا عليه وسلّم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول ا صلى ا عليه وسلّم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا : نعوذ با من سخط ا وسخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من ا تعالى ومن رسوله A فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال Bه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } .

وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس Bهما في هذه الاية قال : كان رسول ا A بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وإنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول ا A وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول ا A فقال : يا رسول ا إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول ا A من ذلك غضبا شديدا فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا : يا رسول ا إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن ما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ با من غضبه وغضب رسوله وإن النبي A استغشهم وهم بهم فأنزل ا تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا } إلى آخر الاية .

وقال مجاهد وقتادة : أرسل رسول ا A الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة : وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث رسول ا A خالد بن الوليد Bه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالدا Bه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد Bه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول ا A فأخبره الخبر فأنزل ا تعالى هذه الاية قال قتادة : فكان رسول ا A يقول [التثبث من ا والعجلة من الشيطان] وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك

ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الاية أنها أنزلت في الوليد بن عقبة وا أعلم .

وقوله تعالى : { واعلموا أن فيكم رسول ا } أي اعلموا أن بين أظهركم رسول ا فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى : { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال : { لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم } أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى : { ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون } وقوله D : { ولكن ا حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم } أي حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم .

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس Bه قال : كان رسول ا A يقول : [الإسلام علانية والإيمان في القلب ـ قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول ـ التقوى ههنا التقوى ههنا] { وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان } أي وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكمال النعمة وقوله تعالى : { أولئك هم الراشدون } أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم ا رشدهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن أبي رفاعة الزرقي عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول ا A : [استووا حتى أثني على ربي D] فصاروا خلفه صفوفا فقال A : [اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق] ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد ابن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به وفي الحديث المرفوع : [من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن] ثم قال : { فضلا من ا ونعمة } أي هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه { وا عليم حكيم } أي عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم في أقواله وأفعاله

وشرعه وقدرته